مسألة: حديث الأوعال

قوله: (وروى أبو داود في سننه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: { إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا.. - وذكر الخبر إلى قوله - ... وفوق ذلك العرش، والله - سبحانه - فوق ذلك " } رواه أبو داود في السنة برقم (4708) والترمذي في تفسير سورة الحاقة برقم (3540) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في المقدمة برقم (181)، والإمام أحمد في مسنده (1/206). واللاكائي في شرح السنة برقم (650، 659). فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف - رحمهم الله - على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده، ولا تأويله، ولا تشبيهه، ولا تمثيله. سئل الإمام مالك بن أنس هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري إمام دار الهجرة، مولده ووفاته بالمدينة (93-179هـ). رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه:5) كيف استوى ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج هذا الأثر رواه أبو نعيم في الحلية (6/325، 326).) . شرح: هذا الحديث يسمى حديث الأوعال، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (الواسطية)، ولما حصلت المناظرة بينه وبين الأشاعرة في دمشق وأرادوا أن ينكروا عليه، وكان مما استدل به هذا الحديث الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم خلْق المخلوقات، ثم قال في آخره: { والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه } . لما ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - السماوات ، وذكر البحار التي فوقها، وذكر الأوعال التي هي الملائكة الذين يحملون العرش، قال بعد ذلك: (والعرش فوق ذلك) يعني: فوق ظهور الأوعال، مع ذكره لعِظم خلقهم، " والله فوق العرش " دليل صريح بذكر الفوقية. قالوا:إن الحديث في إسناده عبد الله بن عميرة وأنه لا يعرف إلا به، ولكن شيخ الإسلام يقول : إن هذا الحديث قد رواه كثير من الأئمة مؤيدين له ، ومن جملة من رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتابه (التوحيد) المطبوع المشهور المحقق؛ ذكر في أول الكتاب أنه لا يروي إلا الأحاديث التي صحت وليس في أسانيدها طعن ولا انقطاع ، فهو روى هذا الحديث وسكت عنه ، وذلك دليل على ثبوته ، وفيه إثبات الفوقية أن الله - تعالى - فوق العرش الذي هو فوق المخلوقات، ولا دلالة أصرح من هذا الدليل . { والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه } يعني: أنه مع علوه، فهو - سبحانه - يطلع عليكم، ولا يخفى عليه منكم خافية، يعلم القريب والبعيد. وآيات المعية، وآيات القرب كثيرة، وقد ذكر شيخ الإسلام أن ما ذكر في القرآن من علو الله تعالى وفوقيته لا ينافي ما ذكر من قربه ومعيته ؛ فإنه سبحانه لا يقاس بخلقه، وليس كمثله شيء، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه، نَصفه بأنه هو الأعلى وهو معنا، ومطلع علينا، يرى عباده ويعلم أحوالهم، كما في قوله تعالى : { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } (ق:16) وفي قوله تعالى: { وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ } (الأعراف:7) . هذه الأدلة ونحوها أدلة صريحة في إثبات العلو، والأدلة كثيرة وقد مر بنا آيات الاستواء، وآيات ذكر السماء، وهذان نوعان من الدليل. والدليل الثالث: آيات العلو كقوله تعالى: { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (البقرة:255) { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } (الأعلى:1) { إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } (الليل:20) { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } (النساء:34) { إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } (الشورى:51) ونحو ذلك، فالعلو ثابت لله - تعالى - بجميع أنواعه؛ وأنواع العلو ثلاثة : علو القدر، وعلو القهر ، وعلو الذات, ومثله آيات الفوقية، مثل قوله تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } (الأنعام:18) { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } (النحل:50) فإذا قال النفاة: إن قوله تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } إن الفوقية هنا فوقية الغلبة، يعني: الغالب فوق عباده، يعني: غالبًا لهم وقاهرًا لهم، وشبهوا ذلك بقول فرعون { وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } (الأعراف:127) وكذلك قالوا: إن العلو هنا علو الغلبة ، وعلو القهر، وقالوا: إن هذه شبيهة بقول فرعون { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (النازعات:24) الجواب أولاً: هذا لا يتأتى في آية: { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } فإنه صريح في أن الفوقية ثابتة من فوقهم، ويمكن أن يصح في قوله: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } أنها فوقية القهر وفوقية الغلبة وفوقية القَدْر، ومع ذلك يلزم من فوقية القهر فوقية الذات ، فالله - تعالى - فوق عباده بذاته، والعلي بقدره ، والعلي بقهره، يعني: القاهر لهم، والذي هو فوقهم كما يشاء سبحانه وتعالى، ومثل ذلك آيات الرفع ؛ كقوله تعالى: { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } (فاطر:10) { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } (آل عمران:55) ونحوها، وآيات العروج قال تعالى: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } (المعارج:4) { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } (السجدة:5) وآيات الصعود قال تعالى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } (فاطر:10) ومثلها ما ذكر الله عن فرعون أنه أراد الصعود إلى السماء، قال تعالى في قصته: { يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } (غافر:36-37) لا بد أن موسى أخبره بأن الله في السماء ، ولو كان موسى أخبره بأن الله في كل مكان لما تكلف أن يبني الصرح، فهذا دليل على أن الله تعالى أمر موسى بأن يبين له ويعلمه أن الرب تعالى في السماء، فلذلك بنى الصرح محاولا أن يطلع على إله موسى .